سلسلة الأنوار
Collection Lumières
ISSN (2716-7852) ر د م ك
المؤتمر الدولي حول: خطاب النسوية والثقافة العربية الإسلامية المعاصرة (مارس 2014)

# خطاب النسوية والثقافة العربية الإسلامية المعاصرة

**خوني ضيف الله**
**جامعة المسيلة (الجزائر)**
**khouni_dif@yahoo.fr**

**الملخص:**

لقد عرفت المجتمعات الغربية في هذا العصر تحولات هامة على مستوى شروط حياة النساء. وعرف الجسد الأنثوي تحررا ضخما تحت ضغوط العديد من الناشطات في الحركة النسوية (وسائل منع الحمل، الاجهاض، الحرية الجنسية،...)، إضافة إلى مساحيق التجميل والجراحة التجميلية وغيرها. وهذا ما يفتح لنا الباب أمام عدة اشكاليات منها ما يتعلق بالجانب الثقافي والاجتماعي والقيمي للمجتمعات العربية، وهل هناك عولمة لا تكترث بهوية المجتمعات؟ هذه الاسئلة وغيرها تعالجها الفلسفة من زاوية نظرية وعملية لتكشف عن مختلف مفارقات هذا الموضوع والحلول الممكنة لها.

لقد استطاعت المرأة العربية والإسلامية أن تقود خطابا نسويا تتخطى فيه واقعيا محفوفا بالتناقضات والمفارقات؟ واقع يستوحي قيمه من المرأة الغربية وما تؤمن به وآخر يريد التمسك بميراث سلفه. وهل العولمة بالمفهوم الغربي تريد فرض نظام من القيم على كل البشرية وبالتالي تتحدى جميع الثقافات؟

تشترك النساء جميعا في كونهن يشتركن في الجنس أي كائنات لها مميزات وخصائص بيولوجية وسيكولوجية تمكنهن من أداء أدوار ووظائف تميزهم تماما عن الرجال كالإنجاب والرضاعة والحنان كغذاء مهم للأطفال.

من الامور البديهية التي لا تحتاج الى نقاش هو أن المرأة العربية ترعرعت في بيئة اجتماعية مختلفة عن تلك عاشت فيها المرأة الغربية. فهي أولا، هي نتاج أسرة دينية، لا يمكن أن تصبح المرأة حلا للرجل أي زوجته إلا إذا قرأت على عقد الزواج فاتحة القرآن أي العقد الديني قبل العقد المدني[1]. ثانيا، النموذج التربوي للنشء بحيث أن المرأة يكفل لها الحق طيلة الحياة متزوجة، مطلقة، أرملة أو عانسة. مما يضفي عليها نوعا من الهوية لا نجدها عند غيرها من النساء في العالم تعرفها فكرا وثقافة وأسلوب حياة. ولذلك لا يمكن مناقشة أي اشكالية تتعلق بالمرأة أو الرجل أو المجتمع إلا في أطر قيم اسلامية، وبالعكس تناقش قضايا المرأة الغربية ضمن أطر متمردة عن الدين كالانزعاج من "كون شهادة الرجل تساوي شهادة امرأتين" و"وترث المرأة نصف ما يرث الرجل" بمعنى تكون النساء غير مستقلين عن الرجال كإخوة أو أباء أو أزواج(1)، والتفتح على كل جديد يمكن أن يغير واقعا معاشا أو قديما أكل عليه الدهر وشرب.

لقد كان خوف الرجال من خيانة زوجاتهم، وخوف الوالدين من أن لا تلقى بناتهم رواجا للزواج، هذا الخوف دفعت بالمرأة الغربية الى الصمود والمطالبة بالتحرر منه. لقد كان شعار مظاهرات النساء في فرنسا في السبعينيات (البطون التي لدينا ملكنا) – Notre ventre nous appartient –(2)

ففي هذه البلدان الديموقراطية الغربية نجد المرأة قد حصلت على حرية تامة في كل مجالات الحياة، ففي الطفولة تتضمن الأنظمة العلمانية الديمقراطية معاملة متساوية بين البنت والصبي وتمنع التمييز على أساس الجنس، كما تقدم لهم الإمكانيات للتطور المتناسق والمنسجم. ومن

[1] نظرا لاستهتار بعض الرجال بهذا العقد الديني والتهرب من المسؤولية أصبح الامام الذي يبرم العقد يشترط العقد المدني.

عمر الثامنة عشر يحق للمرأة الانفصال عن اهلها، تماما مثل الشاب، ويعتبرها القانون فردا حرا وبالغا. ويحق للمرأة العمل لإعالة نفسها وعائلتها من دون استشارة أبيها أو زوجها، كما يحق لها الحصول على دعم المجتمع وحمايته الاجتماعية. وتحصل على كل المؤهلات من دراسة وتطوير للوصول إلى نفس مستويات الإبداع عند الرجل.

وعلى الرغم من ذلك، ما زالت هناك إحصائيات مثيرة عن العنف ضد المرأة في الغرب ففي فرنسا وحدها تموت أكثر من ثلاث نساء شهرياً نتيجة لهذا العنف. مما يشير بوضوح ان الارث الحضاري لاضطهاد المرأة التاريخي لم يتخلص الغرب منه حتى الآن، بالرغم من التغييرات الكبيرة التي جرت على حياة المرأة ومفاهيمها وحقوقها. ففي الوقت الذي لا تزال فيه الحركة النسوية منخرطة في قضايا مثل منع ختان الإناث وقيادة المرأة للسيارة..الخ تهتم الحركة النسوية في الغرب بقضايا جديدة مثل حق المرأة في الإجهاض وتنخرط في جدال الاجهاض الدائر في تلك المجتمعات.

إلا أن اساس المجمعات العربية والإسلامية تدعو الى المحافظة على الميزة التي يعتز الإنسان بها والهوية التي ينتمي إليها، والهوية تلك هي حقيقة الشيء أو الشخص التي تميُّزه عن غيره، فهي ماهيته، أو ما يوصف به ويعرف به من صفات عقلية وجسمية وخلقية ونفسية، إنها المفهوم الذي يكونه الفرد عن فكره وسلوكه الذين يصدران عنه من حيث مرجعهما الاعتقادي والاجتماعي وبهذه الهوية يتميّز الفرد ويكون له طابعه الخاص، فهي تعريف الإنسان نفسه فكرا وثقافة وأسلوب حياة. والمسلمة يريد منها الإسلام أن تكون لها شخصيتها المتميِّزة التي تُعرَف بها بين الناس فتكسب الحماية من الأذى، وتكون محط التقدير والاحترام.

ففي الإسلام تحسنت وتعززت حقوق المرأة، وقد أعطى الإسلام المرأة حقوقها سواءً المادية كالإرث وحرية التجارة والتصرف بأموالها إلى جانب إعفائها من النفقة حتى ولو كانت غنية أو حقوقها المعنوية بالنسبة لذاك العهد ومستوى نظرته إلى الحريات بشكل عام وحرية المرأة بشكل خاص. كما لها حق التعلم، والتعليم، بما لا يخالف دينها، بل إن من العلم ما هو فرض عين تأثم إذا تركته. وقد ركز العلامة ابن باديس على حقوق المرأة بقوله "وإذا أردتم

إصلاحها الحقيقي فارفعوا حجاب الجهل عن عقلها قبل أن ترفعوا حجاب الستر عن وجهها، فإن حجاب الجهل هو الذي أخرها، وأما حجاب الستر فإنه ما ضرها في زمان تقدمها، فقد بلغت بنات بغداد وبنات قرطبة وبنات بجاية مكانة عالية ما ضرّها في العلم وهنّ متحجبات.''[3]

لا يقتصر دور المرأة في الإسلام على كونها امتدادا للرجل، رغم أن بعض العلماء والمؤرخون يختزلون دورها نسبة للرجل: فهي إما أمه أو أخته أو زوجته. أما واقع الحال أن المرأة كانت لها أدوارها المؤثرة في صناعة التاريخ الإسلامي بمنأى عن الرجل. فنرى المرأة صانعة سلام (كدور السيدةأم سلمى في درء الفتنة التي كادت تتبعصلح الحديبية. ونراها محاربة (حتى تعجب خالد بن الوليد من مهارة إحدى المقاتلين قبل أكتشافه أن ذلك المحارب أمرأة). ودورها في الافتاء بل وحفظ الميراث الإسلامي نفسه.

ويتميز الاسلام في هذا المجال بمرونته في تناوله للمرأة. فقد وضع الأسس التي تكفل للمرأة المساواة والحقوق. كما سنّ القوانين التي تصون كرامة المرأة وتمنع استغلالها جسديا أو عقليا، ثم ترك لها الحرية في الخوض في مجالات الحياة. ويبقى امام وصول المرأة المسلمة إلى وضعها العادل في المجتمعات الشرقية هو العادات والموروثات الثقافية والاجتماعية التي تضرب بجذورها في أعماق نفسية الرجل الشرقي الذكورية وليس العائق الدين أو العقيدة.

فمن ناحية العقيدة: حطّم الإسلام المعتقد القائل بأن حواء الرمز الأنثوي هي جالبة الخطيئة أو النظرات الفلسفية القائلة بأن المرأة هي رجل مشوّه. فأكّد الإسلام أن آدم وحوّاء كانا سواء في الغواية أو العقاب أو التوبة. كما أن الفروق الفسيولوجية بين الرجل والمرأة لا تنقص من قدر أي منهما: فهي طبيعة كل منهم المميزة والتي تتيح له أن يمارس الدور الأمثل من الناحية الاجتماعية. وكل هذا منصوص عليه في الموروث الإسلامي والمصادر النقلية من الكتاب والأحاديث.

أما في البلدان العربية فبالرغم من أن دساتير معظم هذه الدول تنص على الحقوق التي كفلها الإسلام للمرأة، وأحيانا أكثر من ذلك عند البلدان التي تبنت بعض الأنظمة العلمانية، كمنع

تعدد الزوجات في تونس بموجب مجلة الاحوال الشخصية. فلا زال وضع المرأة مماثلا لوضعه التاريخي المتخاذل خلال العصور السابقة، بسبب الموروث الثقافي المهين عن المرأة وبسبب التمييز القانوني والفيزيائي بالرغم من المطالبات بتعديل القوانين التي تنتهك حقوق المرأة كقوانين جرائم الشرف. كما تشير الإحصائيات إلى أن معدلات العنف ضد المرأة في البلدان ذات التشريع الإسلامي، مثل السعودية، لا تقل عن مستوياتها في البلدان الأخرى.

ولذلك يبقى النضال متواصلا على توعية المجتمع رجالا ونساء على ادراك كل واحد منهما حقوقه وواجباته تجاه الآخر في ظل القيم الاسلامية والتفتح على الجديد الذي لا ينسف بهذه القيم.

**قائمة المصادر**


1- Michelle Ferrand, Féminin, Masculin, éditions La Découverte, Paris 2004

2- Xavier Gautier, Naissance d'une liberté, contraception, avortement : le grand combat des femmes au XX$^{e}$ siècle, éditions Robert Laffont, SA, Paris 2002, p10

3- مجلة الشهاب 5 نوفمبر 1929